إبن الفارض شاعر الغزل[1] فى الحب الإلهي

بقلم محمد إلهام صالح[2]

Abstrak

Tulisan ini membahas tentang Syair Ibn Farid berkenaan dengan cinta kepada Tuhan. Menurutnya cinta kepada Tuhan merupakan inti hati universal yang dapat dirangkai melalui syair-syair indah yang makna mampu merangkai simpul-simpul cinta yang dapat menembus batas ruang dan waktu. Tema-tema syair yang dikemukakan bercorak sufistik-romantis, di mana penyair mencoba memberikan warna imaginatif artistik dalam setiap bait syair yang dibuat. Bingkai syair yang dipajang memberikan nuansa ilahiyah yang sangat mendalam sehingga mampu menggiring pembacanya menyatu dengan alam dan ritme cinta ilahi.

Kata Kunci: Syaiir, puisi, cinta, Tuhan

١. تمهيد :

تعرض الباحثون قديما وحديثا للشعر العربي قديمه وحديثه يوسعونه درسا, ويكشفون اتجاهاته و شعرائه, لكن موضوع شعر التصوف الذي نال فى القرون الثلاثة الثانى والثالث والرابع للهجرةأهمية خاصة وتحول فى هذه الفترة إلى أناشيد تتداولهاالألسن فتترنم بها المشاعر, وتعشقها القلوب, كما كان لها أثر فعال على النفوس المتعطشة للإ يمان, فى فترة ضعف فيها الإيمان وسيطرت عليها العادة . وكادت أن تعصف بها أفكار المشككين من الملحدين والزنادقة. شعر التصوف هذا جاء مرحلة ثانية لشعر الزهد يوقظ النفوس المؤمنة .

إبن الفارض من الشعراء الذين عاشوا فى القرن السادس ونالوا شهرة واسعة فى ميدان الشعر وقد مدحه كثير من النقاد الكبارأمثال إبن خلكان صاحب كتاب "وفيات الأعيان" والمناوي صاحب "الكواكب الدرية" الذي فضله على شعراء عصره . والموضوع الأساسي الذى يدور حوله شعر ابن الفارض فى ديوانه هو الغزل , وهناك موضوعات أخرى أهمها الحديث عن الخمرة التى ليست كالخمريات المعروفة عند أبي نواس وغيره , بل إنه يرمز فيها رمزا صوفيا لا يفسر إلا تفسيرا باطنيا .

٢. ابن الفارض ومولده ومنشأه

ينتمى ابن الفارض فى نسبه إلى بني سعد[3] ووالده حموي الأصل قدم إلى مصر وسكن فيها, وكان يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكام فلقب بالفارض[4] وفى مصرسنة ٥٧٦ هجرية ولد ابن الفارض أبو

القاسم عمر بن على فعمد والده إلى تثقيفه وتكييف نزعاته النفسية. وقال ابن العماد الحنبلى متحدثا عنه : " نشأ تحت كنف أبيه فى عفاف وصيانة وعبادة, بل زهد وقناعة وورع , ولما شب و ترعرع اشتغل بفقه الشافعية, وأخذ الحديث عن ابن عساكر. [٥] كان إبن الفارض يُعرف منذ صغره بميله إلى التدين والتلذذ بالتجرد الروحي على طريقة المتصوفين, فكان يستأذن والده فى الإنفراد للعبادة والتأمل , ويظهر أنه كان فى جبل المقطم مكان خاص يُعرَف بوادى المستضعفين يختلف إليه المتجردون فأحب إبن الفارض الخلاء فيه, فتزهد وتجرد وكان يأوي إلى ذلك المكان أحيانا , ثم إنقطع عنه ولزم أباه . فلما توفى الوالد عاد الولد إلى التجريد والسياحة الروحية, وسلوك طريقة الحقيقة فلم يفتح عليه بشيئ , فأشار عليه رجل بقصد مكة , فقصدها وأقام فيها مجاورا نحوا من ١٥ سنة . وهناك بين المناسك المقدسة نضجت شاعريته وكملت مواهبه الروحية ثم عاد إلى مصر , وكانت يومئذ تحت سيادة الأيوبيين. [٦]

أثارت شخصية ابن الفارض إهتمام الكثير من اهل زمانه, ومن الرواة الذين راحوا يغدقون عليه الأوصاف العالية التى لم يعرفها أحد من أهل زمانه , فقال عنه صاحب العبر: " هو حجة أهل الوحدة , وحامل لواء الشعراء ", وقال الشيخ عبد الرؤف المناوي فى طبقاته : كان إبن الفارض ملقبا فى جميع الآفاق بسلطان المحبين والعشاق, المنعوت بين أهل الخلاف والوفاق بأنه سيد شعراء عصره على الإطلاق له النظم الذى يستخف أهل الحلوم والنثر, عكف عليه الأئمة , وقصد بالزيارة من الخاص والعام حتى أن الملك الكامل كان يترل لزيارته, وسأله أن يعمل له قبرا عند قبره باالقبة التى بناها على ضريح الإمام الشافعي فأبى وكان جميلا نبيلا . [٧] وقال عنه صاحب البداية والنهاية : إنه ناظم التائية فى السلوك على طريقة المتصوفة المنسوبين إلى الأتحاد.[٨] وقال إبن خلكان عنه : " سمعت أنه كان رجلا صالحا كثير الخير على قدم التجرد له ديوان شعر لطيف , وأسلوبه فيه رائق ظريف , ينحو منحى طريقة الفقراء". [٩] توفى ابن الفارض سنة ٦٣٢ هجرية الموافق ١٢٣٣م .

ونستطيع ان نستخلص من اقوال المؤرخين بعض صفات شخصية إبن الفارض . فقد كان كثير التأثر بعنصر الجمال ينسحر حتى من جمال الشكل فى الجمادات , كما يسحره جمال الألحان . فإذا سمع إنشادا جميلا استخفه الطرب فتواجد ورقص ولو على مشهد من الناس.[١٠]

وكان ميّالا إلى الخلوة والتقشف , فقد هام بأودية مكة يستأنس بوحشتها, وقد عبر عن ذلك بقوله :

وابعدني عن أربُعي بُعد أربعٍ شبابي وعقلي وارتياحي وصحتي

فلي بعد أوطاني سكون إلى الفلا وبالوحش أني إذ من الإنس وحشتي

وفى ذلك ما يشير إلى حبه التأمل بالجمال الطبيعي والبعد عن ضجيج الناس ومتاعبهم.[١١]

فالشاعر كان صوفيا يسلك طريقة أهل الورع والزهد, [١٢] اما ميزات ابن الفارض الأخلاقية فهناك شبه إجماع على نعته بسمو الخلق ومن رقة وإيناس وكرم وترفع عن حطام الدنيا.[١٣] وكان إبن الفارض لم يكن من

الذين يصطنعون التدين طمعا بالحصول على المال , أو شرف المقام, بل كان التدين طبعا فيه يرفعه عن الشهوات و الأطماع المعيبة . وقد عرف الناس له ذلك فأكرموه ورفعوه إلى مَصاف الصالحين .

وكان إذا حضر فى مجلس يظهر على ذلك المجلس سكون وهيبة , وسكينة , ووقار . ورأيت جماعة من مشائخ الفقهاء والفقراء وأكابر الدولة من الأمراء والوزراء والقضاة ورؤساء الناس يحضرون مجلسه وهم فى غاية ما يكون من الأدب معه والإتضاع له وإذا خاطبوه فكأنما يخاطبون ملكا عظيما.[١٤] فرجل كإبن الفارض الشديد الإحساس والتأثر , الكثير الخلوة والتأمل , الورع المترفع عن حطام الدنيا , المحب لحسن الصحبة, الكثير الخير , لا يُستَغرب أن تفيض نفسه بقصائد الوَجْد والهيام , وأن ينال من معاصريه ومن تبعهم جميل الذكر والإكرام.

٣. الغـــزل فى الحب الإلهي

تطور شعر الزهد فى مرحلته الأولى القائمة على الخوف من الله , والخشية من الوقوع فى المعصية لما يترتب على هذا الوقوع من عذاب تقشعر له الأبدان , وترجف منه الأنفس , خيفة من صور العذاب وأنواعه . هذه الصورة تبقى ماثلة فى أعين المؤمنين وأذهانهم لأنها طالما تتردد على أفواههم وتَرِدُ على أسماعهم مما يتلون أو يسمعون من آيات الله البينات , التى تصور أصدق تصوير ما ينتظر الإنسان يوم الحساب .

فقد قدم الصوفيون الكثير من الآراء التى كان لها تأثير عظيم فى مضامين الدين , وفى تقديمهم للفكر الإنساني بوجه عام , وللفكر الإسلامي بوجه خاص , تحليلا نفسيا ذا غاية أخلاقية لأغوار النفس البشرية , كما قدموا للفكر الفلسفى نظريات فى الوجود و مباحث المعرفة , وظهر فى التصوف أولياء هدوا الناس إلى البر والتقوى , وانتشر الإسلام به فى أرجاء واسعة لمآثر سجلت لهم , ولا يصح إنكارها . فما اجمع الصوفية عليه , واتخذوا نحوه موقفا موحدا , هو تبنيهم " للروح" كمبدإ يفسر حقيقة الموجود فى مجال النظر , كما تبنّواالقيم الروحية كمسلك فى مجال العمل , كان المسلك العملي متمثلا بادئ الأمر فى مثل هذه العبادات . يقول داود الطائى : صـــــم على الدنيا , واجعل فطرك الموت أو فـــرّ من الناس فرارك من السبع . ويقول فضيل بن عياض : لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي , ولا احاسب عليها لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مرّ بها أن تصيب ثوبه .[١٥] كما قدم الصوفية معانى باطنة لشعائر الدين وعباداته من طهارة وصلاة وصوم وزكاة وحج , جعلت هذه المعانى تُظْهِـــر الشريعة الإسلامية بثوب متميز عن الثوب الذى حاكه لها رجال الفقه وأصحاب التشريع .

فالطهارة مثلا ليست فى نظرهم مجرد غسل البدن أو الأعضاء بالماء دون تطهير الباطن من الرذائل , ظاهرة الطهارة تكون بتطهير الجوارح من الأحداث والأخباث , أما باطنها فيكون تطهيرا من المعاصى والآثام , وهذه أول درجة مطلوبة من الطهارة تليها درجة أخرى للخواص هي تطهير القلب من الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة . وكذلك الصلاة مثلا قالوا : إن المصلى إذا شرع للصلاة فإنه يستقبل القبلة وهذا يعنى: أنه قد صرف همّـــه عن كل شيئ ليتوجه إلى الله . والنية تعنى : عزم المصلى على الامتثال لله والكف عن المعاصى . والتكبير يعنى : أن لا يكون

فى قلب المصلى شيئ أكبر من الله , فإن من غلب الهوى على أمره لله , فقد إتخذ إلهه هواه . والغفلة من مبطلات الصلاة , لأن الخواطر الواردة, والأفكار الشاغلة للمصلى عن الله يحصلها أصل واحد هو حب الدنيا وذلك رأس كل خطيئة ولا تقبل صلاة من رجل فى بطنه لقمة من حرام , فلا صلاة له حتى يضعه عنه. وقد وحد الصوفية فى الحج ما يمارسون فيه (الرمزية) أو (الإشارات) على حد تعبيرهم نظرا لانطوائه على كثير من الطقوس , إذا كان سفرا إلى بيت الله فإنه لا وصول إلى الله إلا بالتجرد عن الشهوات والكف عن اللذات والإقتصار على الضروريات . والتجرد لله سبحانه فى جميع الحركات والسكنات والعزم على الحج لا يعنى بمجرد مفارقة الأهل والوطن وإنما مهاجرة الشهوات واللذات , فإن قال : لبيك اللهم لبيك فإن التلبية تعنى الإنقياد التام لأوامر الله وهذا يقتضى قطع العلاقات بدنيا الشهوات والآثام . هذه بعض المعانى الروحية التى إستنبطها الصوفية من الأحكام الدينية.

كانت رابعة العدوية[١٦] أول من أنشد المقطوعات فى الحب الإلهى , والحبيب الذى تتغنى بحبه وتناجيه هو الله عز وجل الذى تُقبل عليه وتخلو إليه فلا تبرح بابه مهما طال بها الإنتظار , لأنه مؤنس لروحها ومنبه لقلبها وأمل لحبها , وهي فى سعيها المتلهف لحبه , لا تفعل ذلك خوفا من ناره ولا طمعا فى جنته ولكن ابتغاء وجهه الكريم وحده . ومن أناشيدها المشهورة للحب الإلهى :

أحبُّك حُبَّيْن حُب الهوى ... وحبك لأ نك أهل لذا كا

فأما الذى هو حب الهوى ... فشُغلي بحُبّكَ عمن سواكا

وأما الذى أنت أهل له ... فكَشْفُكَ للحُجُبِ حتى أراكا

فلا الحمْدُ فى ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا [١٧]

فى هذه الأبيات تميز رابعة بين نوعين من الحب: حب الهوى والحب الخالص. والأول حب ناقص لأنه حب أرضي محسوس, وهو الخطوة الأولى للحب الكامل الخالص غير المحسوس الموجّه إلى الله تعالى . والحبان مُكمّل بعضهما لبعض. وقد عقب الغزالى على هذه الأبيات بقوله: " ولعلها أرادات بحب الهوى حب الله لإحسانه إليها , وإنعامه عليها بحظوظ العاجلة , وبحبه لما هو أهل له , الحب لجماله وجلاله الذى انكشف لها وهو أعلى الحبين وأقواهما "[١٨] .

ومن شعراء الصوفية الذين قالوا فى الحب الإلهى فى أواخر القرن الثانى الهجري ذو النون المصري [١٩] الذى يُعَدُّ الرائد الحقيقي للتصوف, وهو أول من تكلم عن المعرفة مفرقا بينها وبين المعرفة الفلسفية التى تقوم على الفكر , بينما تقوم المعرفة الصوفية على القلب والكشف والمشاهدة . ومن قوله يخاطب ربه :

أموت وما ماتت إليك صبابتي ... ولا قضيت من صدق حبِّك أوطاري

مُناي المُنى كل المنى أنت لى منى ... وأنت الغنى كل الغنى عند إقتاري

وأنت مدى سؤلي وغاية رغبتى ... وموضع شكواي ومكنون إضماري

تحمّـلُ قـلـبـــي فـيـك ما لا أُبِـنْـــــه وإن طال سُقـمي فيك أو طال إضراري

أَلَسْتَ دَلِيْلَ الركب إنْ هم تحيَّروا ومُنقذ مَن أشـفـــى على جُرْفِ هـــاري

فـنـلـنـي بعفـو منك أحـيـا بقربـه أغِـثـنـي بِيُسـر منك يطرد إعســـاري

يتوجه ذو انون المصري بحبه إلى الله , وهذا الحب لا يصل إلى كامل غايته لأن الموت يدركه , ولا يزال لقلبـه شوق عظيم إلى الإرتواء من هذا الحب. ثم يأتي بعد ذي النون المصري أبو يزيد البسطامي[٢٠] الذي دعا لفكرة الفناء فى الذات الإلهية أى تجرد النفس عن رغباتها وقمعها لشهواتها وحلول إرادتها فى الإرادة الإلهية مثل قوله :

أشار سـرب إلـيـكَ حـتـى فنيتَ عـنـي ودُمْـتَ أنْـت

محَـوتُ إسمي ورسـمَ جسْـمي سألـتَ عـني فقـلـت أنـت

فـأنت تـسـلو خِـيالَ عَـنـّي فَحـيـثـمـا دُرْتُ كنت أنـت

وفكرة الإتحاد بين المحب والمحبوب هي السمة المميزة لطابع أبي يزيد فى شطحاته[٢١] الصوفية . وممن لهم شعر فى الحب الإلهي فى هذا العصر عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري[٢٢] ثم يليه يحي بن معاذ الرازي[٢٣] و السري السقطي [٢٤] والشيخ الجنيد[٢٥] وغيرهم .

٤. شـعـــر ابـــن الفـا رض وخصائصه

عُرف ابن الفارض بأنه شاعر الحب , والناس فى ذلك طائفتان أهل الظاهر , وأهل الباطن . فأهل الظاهر هم القائلون بأنه لا يخرج عن سبيل العشّاق أو الغزلين الذين وصفوا الجمال الإنساني , ولاسيما جمال المرأة وتأثيره فى نفوس المحبين . وقد عزا إليه بعضهم ولعه بسماع الغناء من جوار له وأنه كان يرقص لذلك ويتواجد. [٢٦]

ونظر كثيرون إلى ديوان ابن الفارض وأعجبوا به , ولعل أهم هؤلاء ابن ابي حجلة الذي وصفه فقال فيه : " هو من أرق الدواوين شعرا , وأنفسها درا برا وبحرا , وأسرعها إلى القلوب جرحا . [٢٧] والموضوع الأساسى الذي يدور حوله شعر ابن الفارض فى ديوانه هو الغزل , ولعل قصيدته البائية هى من أشهر قصائده التي ترتفع على أجنحة الحب إلى العُلى .

ويمكن أن نقسم هذه القصيدة إلى عنوانين لعل أبرزها " سائق الأظعان " فيقول [٢٨] :

سائق الأظعان يطوى البيد طيّ منعمـا عـرِّجْ على كـُثـْبـانِ طـــي[٢٩]

وبـذات الـشـيـح عـنـي إنْ مَـرَرْ تَ بِحـَيٍّ مـن عُـرَيـب الجزع حي [٣٠]

وتَـلَطَّـفْ واجْـرِ ذكرى عِـنْـدَهم عَـلَّهُم أن يَنْظُـروا عَـطْـفًـا إلـــيَّ

قل تركْـتُ الصَـبَّ فيـكُـم شبحًـا حـَالُـهُ مـمـا يـراه الشـوقُ فـي

كـهـلال الـشـك لـولا أنـه أن عَـيْـنـي عـيْـنُـهُ لم تـتـأي [٣١]

فالسائق الذى يتحدث عنه الشاعر فى البيت الأول هو الله تعالى , والأظعان الناس الذين يحثهم الشاعر للوصول إلى الله تعالى عن طريق كُـثبان طيّ وهي كناية عن المقامات المحمدية التي عددها كرمال الكثـيب , وهو يلتمس منه تعالى أن يوصله لما يوصل جميع المؤمنين إليها , أو كأنه يلتمس الوصول إلى مقامات أستاذه الذى أخذ عنه وهو اشيخ محي الدين بن العربي الحاتمي الطائي الذي هو من ذرية حاتم طيء.

ويقول للسائق فى البيت الثانى على سبيل الرمز إذا مررت فى موصوف بأنه من عريب الجزع , مستقر فى الموضع المعروف بذات الشيح فحيهم عني .

ولما كانت الأظعان كثيفة فى البيت الثالث فقد طلب الشاعر من سائقها التلطف بها ليناسب ذلك الحي , وقال بعد التلطف اذكرني عند ذلك بما انا عليه علّهم ينظرون إليّ بترحم وتحنن وترحي .

وقل لهم يا سائق الأظعان بعد التلطف بهم , وإجراء ذكرى عندهم , تركت محبكم شبحا شاخصا أيضا وذلك لكثرة ما يراه الشوق إليهم. والصب كما يراه الشاعر كهلال الشك فى الخفاء لو أتيته ما تعمدت عيني رؤية ذاته لكونه قد صار عدما محضا.

ثم يتحدث الشاعر عن حالة المحب , وكيف أنه غريب عن الأوطان التي يحبها فيقول واصفا حالة هذا المحب :

بين أهـلَيْـهِ غَـريـبًـا نـازِحًـا وعـلى الأوطـانِ لـَمْ يَعْطِـفْـهُ لَيْ

نَـشْـرَ الكَـاشِـحُ مـَا كـانَ اطـاوي الـكَشْحِ قُـبَـيْـلَ النَـأي طيْ

فى هَـواكـمْ رمضـانُ عُـمْـرُهُ يَـنْـقَـضي مـا بـيـنَ إحـيـاءٍ وطـيْ

حـَائـرًا فى مـا إلَـيـه أمْـرُهُ حـائـرًا والمَـرْءُ فى المِحْـنَـةِ عَيْ

غربة المحب بين أهله كناية عن تحققه فى نفسه بالحي القيوم على النفوس كلها , فإذا تحقق بالقيومية ارتحل عن عالم أهله وبعد عنهم فصار غريبا وهو بينهم , وهو مع ذلك لم يعطف على الأوطان الأصلية التى كان فيها قبل

ظهوره فى عالم الكون وهى حضرة الكلام الإلهى , وحضرة العلم الرباني , وحاصله أنه خرج من عالم أهله وأمثاله من البشر و لم يدخل فى عالم الغيب على التمام لبقاء أثر البشرية عليه .

ايها السائق تركت الصب وقد نشر الكاشح ما كان قد طوى الصب كشحه عليه , وستره من أسرار الغرام طيا , ويحتمل أن يعود إلى الكاشح فالمعنى حينئذ وقد نشر الكاشح قبيل بُعدكم ماكان قد طوى كشحه عليه من العداوة والإفساد. وفى البيت الطباق بين النشر والطيّ , وجناس شبه الإشتقاق بين الكاشح والكشح وجناس الإشتقاق بين طاوي وطي .

والكاشح كناية عن شيطان الأغيار القائم فى طبيعة النفس الإنسانية فهو مضمر العداوة يحمل الإنسان عن الإمتناع عن المنافع الأخروية ويأمر بالشهوات الدنيوية وقد انكشف أمره فإن إضماره للعداوة كان فى حال قربكم مني ثم لما حصل البعد بإدراك الأغيار ونشر ماكان مضمر من العداوة.

ثم يخاطب الشاعر السائق فيقول له تركت الصب فى حال كون عمره كله قد صار رمضان بسبب هواكم فهو منقض ما بين إحياء ليل , وطي صوم . ولا يلزم من الطي الوصال المحرم لحتمال أن المراد قلة الأكل وذلك لا ينافى الإفطار ولو على الماء , على أن المراد طي الصوم عن السوي , وهو يعنى أنه صائم فى عمره كله عن رؤية الأغيار اشتغالا بتلقيّ فيض التجليات على قلبه ببدائع الأسرار , ففى ليل غفلته إذا دخل عليه سهر فى الطاعة , وفى نهار يقظته إذا اظله طوى فلم يأكل و لم يشرب , وإنما يطعمه ربه ويسقيه كمن أكل ناسيا وهو صائم , فقد قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم أنه أطعمه ربه[٣٢] .

وفى البيت الأخير يرى الشاعر أن الصب المتقدم ذكره متحير فى ماذا تكون نهاية أمره , فهل يختم له بالسعادة , أو بالشقاوة وهذا المر قد قطع قلوب الصديقين . وفى هذا البيت جناس تام بين حائر وحاتر , وجناس ملوب بين أمره ومرء .

والعنوان الثاني فى يائيـــة ابن الفارض هو ترويح القلب فيقول :

رَوِّحْ الـقَـلـبَ بِـذِكْـرِ الـمُـنْـحَـنَـى ... وأَعِـدْهُ عِـنْـدَ سَـمْـعِـي يَـا لُـحَـيْ

لَـمْ يَـرُقْ لِي مَـنْـزِلٌ بَـعْـدَ الـنَـقَـي ... لا ولا مُسْتَحْسَنٌ مِـن بَـعـد مَـيْ

آهٍ وأَشْـواقـي لـضـاحـي وَجْهِـهـا ... وظـمَـا قَـلـبـي لـذ يُـا ك الـلُّـمَـيْ

فَـبِـكُـلٌ فـبـه و الأ لـحـا ظ لـي ... سَـكْـرةٌ واطْـربـا مِـن سَـكْـرَتَـيْ

جنـــة , عـــندي ربـــاهـــاأمْحَـلَـــت أم حـلَـتْ – عُجلـتُهـا مـنْ جـنَّـتـي ٣٣

دارُ خُـلْـدٍ لـم يَـدُرْ فى خَلَـدِي أنَّـهُ مَـنْ يَـنـأ عَنـهـا يَلْـقَ غَـيْ

ويطلب الشاعر من الخليل أن يروح قلبه بذكر المنحنى , وهو المكان الذي فيه أحبته , ومن اجل اهلها تحب المنازل , ويقول له: إجعل فى القلب الراحة من تعب الغفلة , والق فيه النشاط بذكر اسم المنحنى وهو موضع انحناء الوادي وانعطافه , واسم مكان مشهود فى بلاد الحجاز والإشارة به غلى الحضرة الربانية من الإنحناء وهو التدلى والدنو من قوله تعالى : " ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو ادنى " (النجم) .

ويقول: إنه لم يصفو له مترل بعد مفارقة النقا ولا صفا له محبوب استحسنه بعد مفارقته لمحبوبته التى فاز منها باللقاء وحاضر الأمر أنه يقول : فارقت مسكني فلم ألق بعدهما ما يغني عنهما فإن الوطن المألوف محبوب , والحبيب الأول لا تسلوه المقلوب .

وهو يبدي الشكاية والتوجع من كثرة شوقه لوجه هذه المحبوبة الظاهرة له تحت براقع صور الأكوان. وأضاف الظمأ إلى القلب لأنه موضع المعرفة الحقيقية , واللمي كناية عن حضرة الكلام الإلهي الذي ليس بحرف ولا صوت .

للشاعر سكرتان : إحداهما حاصلة من لمي الحبيبة , والأخرى صادرة نت ملاحظة ألحاظها , وهو يتوجع من وجود هاتين السكرتين لحصولهما حال غيبة الحبيبة . والحبيبة هى جنة عنده , والرّبا كناية عن المقامات الإلهية والأحوال الربانية التى يكون فيها السالك فى طريق الله تعالى , وهذه هي جنة المعارف والعلوم . وقوله أحلت أم حلت يعنى أجدبت أم أثمرت بما يحلو من لذائذ المناجات , ولطائف الخطابات والمكالمات الحاصلة فى الدنيا والآخرة . ويقول : إن المحبوبة دار خلد أى أن عارفيها خالدين فى انواع اللطائف ولذائذ المعارف , وهي موصوفة بزيادة الأمان عندي بحيث أنه لم يخطر فى بالي أن من يعرض عنها بغفلة يلقى غيا أي ضلالا وحيرة وعمىً لأنها جامعة للكل بحيث لا يخرج عن حضرة علمها شيئ .

تحدث عنه إبن خلكان فقال : " له ديوان شعر لطيف , وأسلوبه فيه رائق ظريف , ينحو منحى طريقة الفقراء". ٣٤ وقد عبر ابن الفارض عن الحب والوجد الإلهي بصور شتى من التعبيرات التى إستعارها من شعراء الحب العذري أحيانا . لقد ملك عليه الحب كل قلبه وغيَّبه عن كل شيئ إلا عن محبوبه الذي لاقى فى سبيل الإتصال به والإتحاد معه ما يحتمل وما لا يحتمل من أهوال وتباريح .

٥. الخاتمـــة

وفى الخاتمـــة عدة الخلاصات التى لابد تعبيرها لإستيفاء البحث وهاهي ذا :

١. بعد ما قدمنا عدة أشعار ابن الفارض فوجدناها أنها انتهج من حيث الشكل الطابع القديم الذى لم يُفرِّط فيه بعمود الشعر التقليدى و لم بتجه للبديع اتجاها مسرفا كما هي الحال فى عصره . أما من حيث المضمون فقد غلب على شعره طابع التصوف , وإن أُلبست معانيه أثوابا من المعانى التقليدية فى الغزل والنسيب والخمريات وما شابهها.

٢. اهـــتـــــمّ علماء التصوف بشعر عمر ابن الفارض من وجهة نظر الصوفية وتعاليمهم وما تردد فى هذا الشعر من المعانى كالوجد ووحدة اوجود والعشق الإلهي وما إلى ذلك .

---

[1]الغزل هو احدى الأغراض للشعر العربي وطريقته عند الجاهلية تكون بذكر النساء ومحاسنهن وشرح أحوالهن وكان له عندهم المقام الأول من بين اغراض الشعر كالفخر و المدح و الرثاء والهجاء والوصف وغيرها فلما جاء الإسلام معنى الغزل يتغير ويتبدل بالمعانى الإسلامية, أنظر السيد أحمد الهاشمي , *جواهر الأدب فى أدبيات وإنشاء ولغة العرب.*, مصر: دار الفكر , جزء ٢ , دون سنة , ص . ٢٦

[2] مدرس كلية الآداب بالجامعة الإسلامية علاؤالدين مكسر

[3] هى قبيلة السيدة حليمة مرضعة النبى صلى الله عليه وسلم

[4] الشيخ إبن العماد , *شذرات الذهب فى أخبار من ذهب.*, بيروت : دار التراث العربي, دون السنة ج ٥, ص ١٤٩ وليس هناك تحديد تاريخ ولادته ووفاته .

[5] نفس المرجع

[6]نفس المرجع

[7]شذرات الذهب, ج ٥ , ص ١٥٠

[8]الشيخ ابن كثير *البداية والنهاية*., مصر : دار الكتب العلمية, مج ٧ , ص ١٥٤

[9] الشيخ ابن خلكان , *وفيات الأعيان*,ج ١, مصر: طبعة محى الدين عبد الحميد, ١٩٣٨ م, ص ١٣٦

[10]شذرات الذهب, ج ٥ , ص ١٥٢

[11] نفس المرجع, ص ١٥٠

[12] الشيخ السهروردى , *عوارف المعارف*., مصر : دون مطبعة, ١٣٠٢ هجرية, ص ٤٠

[13] إبن خلكان فى ترجمته , ج ١ , ص ١٣٦ وما بعدها وشذرات الذهب ,ج ٥ , ص ١٥٠

[14] الشيخ عبد الغني النابلسى , *شرح ديوان ابن الفارض*, بيروت: دارإحياءالتراث, دون سنة, ص ٦

[15]الإمام الشعراني, *الرسالة القشيرية* ., دون المكان: دار الخير, دون سنة, ص ١٢

[16]رابعة العدوية: هي أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عتيك الصالحة المشهورة, كانت من أعيان عصرها وأخيارها فى الصلاح والعبادة مشهورة, توفيت سنة خمس وثلاثين ومائة , انظر وفيات الأعيان لإبن خلكان,ج ٥, ص ٢٨٩

[17]دائرة المعارف الإسلامية , ص ٢٩٧

[18]إحياء علوم الدين , للغزالى, ج ٤, ص ٣١١

[19] ذو النن المصري أبو الفيض, ويقال ثوبان بن إبراهيم وذو النون لقب, وهو مولى قريش , توفى سنة خمسة ومائتين. أنظر طبقات الصوفية للسلمى,ص ٢٣

[20] هو طيفور بن عيسى , كان جده بحوسيا فأسلم , مات سنة إحدى وستين ومائتين , طبقات الصوفية للسلمي , ص ٦٠

[21]

[22] سمي بهذا الإسم لإنه كان يحاسب نفسه , توفي سنة ثلاثة وأربعين ومائتين , وفيات الأعيان لإبن الخلكان,ج٤,ص١٠١

[23] الواعظ أحد رجال الطريقة الذى أنشد فى شعره فى علم الوجاء , توفى سنة ثمانية وخمسين ومائتين بنيسابور, وفيات الأعيان , تحقيق إحسان عباس, ج ٦ , ص ١٦٧

24 هو أبو الحسن بن المغلس السقطي, كان واحد أهل زمانه فى الورع وعلوم التوحيد وهو أحد رجال الطريقة وأرباب الحقيقة وهو خال الجنيد وأستاذه توفى سنة سبع وخمسين ومائتين ببغداد , نفس المرجع ص ١٠٤

25 رأس الطبقة الثانية من المتصوفة هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد الزاهد المشهور, أصله من نها وند, ومولد ومنشأه العراق, توفى سنة سبع وتسعين ومائتين, نفس المرجع ص ٢٩٠

26 شذرات الذهب, ج ٥ , ص ١٥٢

27 نفس المرجع, ص ١٥١

28 الديوان , شرح عبد الغنى النابلسى , دار التراث, بيروت , ص ١٩

29 طي الأولى مصدر طوى والثانية اسم قبيلة

30 ذات الشيح : اسم موضع . الجزع : منعطف الوادى

31 هو فى الخفاء كهلال الذى لم تثبت رؤيته , ولولا أنينه لما رأت عيني ذاته

32 فى حديث إني لست كأحدكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني

33 هي عندي جنة سواء أجدبت أم تحلت بالخصب , ويشير بالجنة الثانية إلى السماء

34 وفيات الأعيان, ج ١ , ص ١٣٦

المصادر

١. الشيخ إبن العماد , *شذرات الذهب فى أخبار من ذهب*., بيروت : دار التراث العربي, دون السنة .

٢. الشيخ ابن كثير , *البداية والنهاية*, مصر : دار الكتب العلمية, مج ٧ , دون سنة

٣. الشيخ إبن خلكان , *وفيات الأعيان*, مصر : طبعة محى الدين عبد الحميد, ج ١, ١٩٣٨ م

٤. الشيخ السهروردى , عوارف المعارف, مصر: دون سنة

٥. الشيخ عبد الغني النابلسى , *شرح ديوان ابن الفارض*, بيروت: دارإحياءالتراث, دون سنة

٦. الدكتور عبد الرحمن بدوي , *شطحات صوفية* ., الكويت: وكالة المطبوعات , ١٩٧٦ م

٧. الأستاذ إبن حجة الحموى , *خزانة الأدب* ., مصر : دون مطبعة, ١٣٩٤ هجرية